



INTERNATIONAL INSTITUTE OF MUSLIM UNITY

المؤتمر العلمي الدولي بعنوان:

عبد الحميد أبو سليمان

وإسهاماته في الإصلاح الفكري والتربوي

كوالالمبور - ماليزيا

الثلاثاء والأربعاء: ١-٢ شعبان ١٤٤٤هـ (٢١-٢٢) (شباط-فبراير) ٢٠٢٣م

ورقة بحثية بعنوان:

الوعي السنني في المشروع الفكري

للدكتور عبد الحميد أبو سليمان نظرات ومعالم

د. رشيد كهُوس*

الوعي السنني في المشروع الفكري للدكتور عبد الحميد أبو سليمان نظرات ومعالم

د. رشيد كهُوس*

قائمة المحتويات:

مقدمة.

المدخل الاستهلاكي: مفهوم الوعي السنني وأهميته.

أولاً: الوعي السنني السليماني من إصلاح الإنسان إلى صناعة المجتمع وال عمران.

ثانياً: الجودة في الطرح السنني السليماني، مقارنات ومقاربات.

خاتمة البحث.

مقدمة:

إن الناظر في التراث الفكري للمفكر الإسلامي الكبير عبد الحميد أبو سليمان (ت ٢٠٢١م) -رحمه الله- ليقف على وعي سنني كبير بسنن الكون والاجتماع البشري، فهو قامة فكرية كبيرة، وعقل إسلامي كبير، وعلامة مضيئة في سماء الإصلاح الفكري، فما كان لهذا الوعي السنني المستمد من الوحي أن يغيب عن كتاباته وإبداعاته. ومن ثم فإن الفكر السليماني يستمد شموليته من شمولية الرؤية الإسلامية القرآنية، فكر يقرأ الماضي ويعي أحداثه، ويشخص الحاضر ويصير مجرياته، ويستشرف المستقبل، فيقترح الحلول حسب الاستطاعات والإمكانات المتاحة، ويشحذ الذم ويرفع الهمم للخروج من ورطة الأزمة التي يعيشها العقل المسلم الذي تنكب الرؤية القرآنية الكلية، والسنن الإلهية.

إن الفكر السليماني يعتمد الوعي السنني منطلقاً في نظريته الإصلاحية في إخراج المسلم من أزمته الفكرية والوجدانية، والنهوض بالمجتمع من واقع التردّي والوهن الحضاري إلى مصاف المجتمعات الراقية تربية وتعلّماً وفكراً وممارسة، والإسهام في إرجاع الإنسانية الضائعة إلى وحدتها الجامعة القائمة على الحب والخير والفضيلة، والعدل والأخوة، وحفظ المشتركات الإنسانية، والنأي بها عن الأنا الفردية إلى نحن الجماعية.

إننا اليوم بأمس الحاجة إلى القراءة السليمانية الفكرية، ذلك بأنها من أكثر القراءات عمقا ودقة وانضباطا وفهما للوحي القرآني والواقع الإنساني، حيث تنقل علاقة الأمة بالوحي من علاقة آلية جامدة جزئية إلى علاقة مقاصدية اقتدائية عملية.

والحاصل أن ما يسميه الدكتور عبد الحميد "الرؤية الكونية الحضارية القرآنية" هو في الحقيقة الوعي السنني الذي ينقصنا اليوم، فأورثنا غيابه تخلفا وانتكاسا حضاريا، وتراجعا قيميا، وانكسارا تاريخيا..

* أستاذ التعليم العالي ورئيس قسم أصول الدين وتاريخ الأديان -كلية أصول الدين بتطوان، جامعة عبد الملك السعدي-المغرب، k.rachid@uae.ac.ma

وتأسيسا عليه؛ فإن هذه الرؤية السليمانية رؤية سننية إيمانية إيجابية بناءة، هي رؤية حب وكرامة وسلام، تنبثق عن وعي سنني مؤسس على الوحي القرآني، تهدف إلى تنزيل مقاصد الوحي في الحياة الإنسانية بكل أبعادها الحضارية والاجتماعية والتربوية والروحية...

إن المقصد الأساس من حضور الوعي السنني في المشروع السليماني هو الإسهام في بعث الأمة وتأهيلها للاضطلاع بوظيفتها التربوية والاجتماعية والحضارية من أجل تحقيق نهضتها الشاملة في كافة جوانب الحياة، وهي النهضة التي يستظل بدوحها الوارفة، وينعم بفنائها الفسيح كل أفراد المجتمع الإنساني، إذ لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وقد صلح حال أول هذه الأمة بالوحي السماوي فهما وتنزيلا، وعلماء وعملا، وقراءة وتدبرا.

هذا الوعي السنني هو الذي نجده سائدا في كتابات المفكر الإسلامي عبد الحميد أبو سليمان، وهو الذي يوطر فكره، ذلك الفكر الذي يقدم تحليلا سننيا ملموسا لواقع الأمة، ولأزمة العقل المسلم، ويكشف عن خطوات إعادة الأمة إلى خيريتها، وإعادة العقل إلى منهج تفكيري سديد، يستمد من الوحي القرآني ورؤيته الكونية والحضارية الكلية باعتباره منطلقا للفهم والوعي، وإطارا مرجعيا في معرفة الوجود والحياة والقيم، ودستورا للعلم والحكم.

إن التراث السليماني هو مشروع فكري سنني حضاري يتضمن أفكارا وقضايا تنير العقل المسلم وتحرره من أغلال التقليد البليد للدوايب الغربية، وتفتح مداركه ليستفيد من القرآن المسطور، والكتاب المنظور، فهما ووعيا، وعملا وتسخيلا، وفكرا وفعلا.

ذلك التراث الذي تتجلى فيه الرؤية السننية الكلية، من خلال مقارنة جامعة لقضايا الأمة وفق التصور الإسلامي، وتقديم أجوبة شافية كافية عن أسئلة العصر، وبيان أسباب ما لحق بالأمة من تراجع حضاري، والعقل المسلم من عطالة فكرية.

أهمية البحث:

يشكل موضوع الوعي السنني أهمية كبيرة في مشاريع النهوض والإصلاح المعاصرة؛ لأنه يتصل ببناء فكر الأمة، وتوجهها الحضاري من أجل إحيائها، وإحياء العقل المسلم فيها.

ومن ثم فإن استقراء أفكار المفكرين واستنطاق كتاباتهم يمثل جهدا يبرز معالجة الفكر الإسلامي لقضايا الأمة والدين فهما ووعيا، وحلا للمشكلات، ودرءا للمخاطر..

إن الدكتور أبا سليمان طرح في مجموع مؤلفاته مشروعا فكريا إصلاحيا لإعادة صياغة فكر الإنسان المسلم وتصحيح مساره، وإخراج المجتمعات المسلمة من دائرة التخلف الحضاري، وبناء الإنسانية الجامعة.

ومن ثم جاء هذا البحث ليبرز معالم التفكير السنني لدى الدكتور عبد الحميد، ويكشف عن أهمية ذلك التفكير في الإحياء الحضاري، والخروج من نفق الأزمة الفكرية والاجتماعية والحضارية للإنسان- فردا وأسرمة ومجتمعا وأمة-.

وانطلاقا من كل ما تقدم سأقدم مقاربة سننية للفكر السليماني من خلال استعراض الخطوط الرئيسة للوعي السنني في تراثه، والخصائص المميزة لرؤيته ونظرة الفكري العميق.

أهداف البحث ومسوغاته:

- كثيرا ما راودتني فكرة الاشتغال بالوعي السني في المشروع الفكري للمفكر الإسلامي الكبير عبد الحميد خاصة لما اطلعت كتبه النفيسة والماتعة: (الرؤية الكونية الحضارية القرآنية) و(أزمة الإرادة والوجدان المسلم)، و(الإصلاح الإسلامي المعاصر) و(انهيار الحضارة الإسلامية) و(أزمة العقل المسلم) وغيرها.. واكتشفت حضور النظر السني فيها، وعمق الفكرة، ورسالة الكلمة، فكان هذا المؤتمر فرصة ثمينة للاشتغال بهذا الموضوع، والتعمق فيه من خلال استنطاق الكتابات السابقة وغيرها، للوقوف على المعالم الكبرى للنظرية السننية في الفكر السليماني.

- إبراز عناية الدكتور عبد الحميد بالفكر السني، والكشف عن نماذج منه من خلال كتاباته.

- محاولة استخلاص المنهج السليماني في توظيف الوعي السني في بناء مشروعه الفكري الإصلاحي.

- الوقوف عند معالم الرؤية الكونية الحضارية القرآنية في الفكر السليماني، وإبراز آثارها الإيجابية.

- الكشف عن أهمية الوعي السني السليماني في تشكيل العقل المسلم وإخراجه من أزمته الفكرية والوجدانية والحضارية.

- الوقوف عند الوعي السني في العقل السليماني من خلال اهتمامه بقضايا مختلفة للنهوض بالعقل والأسرة والمجتمع وصناعة الإنسانية الجامعة.

منهج البحث:

سأسلك منهج استنطاق الفكر السليماني واستقراءه وتتبعه للكشف عن أهم الجوانب المتعلقة بقضية السنن في فكره وتراثه، وإبراز مدى حضورها في مشروعه الفكري الإصلاحي، والكشف عن المنهج النسقي الذي ينسجه في البناء السني للفكر الإسلامي.. هذا فضلا عن المنهج التحليلي الذي يقف بالتحليل والدراسة عند النصوص السليمانية السننية ويستخرج هداياتها السننية.

أما إشكالية هذا الموضوع فتتجلى في الأسئلة الآتية:

إلى أي مدى كان الوعي السني حاضرا في الفكر السليماني؟

وإلى أي حد استطاع الدكتور أبو سليمان صياغة الأبعاد العميقة للمشروع الفكري السني الإسلامي الكفيل

بإخراج العقل المسلم من هذيان الجاهلية ونظرياتها الإيديولوجية؟

وكيف يمكن للوعي السني السليماني أن يسهم في تحقيق شهودها الحضاري؟

هذا وسيكون منطلق هذا البحث من فرضية مفادها أن المشروع الفكري التجديدي السليماني ينطلق من وعي

سني نسقي تكاملي كلي في تأصيله للمفاهيم والقضايا والأفكار، ومعالجته لقضايا الفكر والدين والأمة..

خطة البحث:

تحقيقا للأهداف المنشودة سينتظم هذا البحث في مقدمة ومدخل ومبحثين وخاتمة: حيث سأخصص المقدمة

لموضوع البحث وأهميته وأهدافه ومنهجيته وبعض الدراسات السابقة فيه.. أما المدخل فسأفردده لمفهوم الوعي السني

وأهميته.. أما المبحث الأول، فسأتناول فيه: الوعي السني السليماني من إصلاح الإنسان إلى صناعة العمران،

وسأقسمه إلى ثلاثة مطالب: أخصص الأول: للأسس التي يركز عليها الوعي السنني السليماني، والثاني لأثر الوعي السنني السليماني في إحياء العقل المسلم، والثالث للوعي السنني طريقا إلى الإصلاح الاجتماعي. ويليه المبحث الثاني: الجدة في الطرح السنني السليماني: مقارنات ومقاربات، أجعله في فرعين: يتعلق الأول منهما بالطرح السنني السليماني من حيث العطاء والتميز. أما الثاني فيتعلق بتصورات أبي سليمان حول مكانة السنن عند المفكرين الإصلاحيين: عرضا ونقدا.

ثم خاتمة لأهم نتائج البحث وما انتهى إليه، مع إجمال التوجيهات والتوصيات العملية.
والله تعالى أسأل التوفيق والسداد.

المدخل الاستهلاكي: مفهوم الوعي السنني وأهميته

أقصد بالوعي السنني -الذي نحن بصدد دراسته- الإدراك الحقيقي للمنظومة السنن الإلهية النازمة لشؤون الحياة والأحياء، الصانعة لل عمران، الموجهة لحركة الإنسان الاستخلافية في الأرض.. التي تهدف إلى إصلاح الإنسان -فردا ومجتمعا وأمة وعمرانا- في المعاش وإسعاده في المعاد، وتحقيق شهوده العمراني على الأمم. وعليه، فإذا كانت السنن الإلهية هي الطرائق والنواميس التي تنظم شؤون الحياة والأحياء؛ فإن أهميتها بالغة في مسيرة الإنسان الاجتماعية والعمرانية؛ ذلك بأنها تضيء للإنسان -فردا ومجتمعا وأمة- طريقه في عمارة الأرض والنهوض بأمانة الاستخلاف، وتبصره بوظيفته في هذا الوجود.

ومن ثم فإن "نظام الجمعية البشرية وما يحدث فيها هو نظام واحد لا يتغير ولا يتبدل، وعلى من يطلب السعادة في هذا الاجتماع أن ينظر في أصول هذا النظام حتى يرد إليها أعماله، ويبنى عليها سيرته، وما يأخذ به نفسه، فإن غفل عن ذلك غافل فلا ينتظرن إلا الشقاء، وإن ارتفع إلى الصالحين نسبه، أو اتصل بالمقربين سببه، فمهما بحث الناظر وفكر، وكشف وقّرر، وأتى لنا بأحكام تلك السنن، فهو يجري مع طبيعة الدين، وطبيعة الدين لا تتجاني عنه، ولا تنفر منه، فلم لا يعظم تسامحها معه."^١

وملاك الأمر كله إن الوعي السنني "لا يشكل لنا وقاية من الأزمات والإصابات التي يمكن أن تلحق بنا، بسبب جهلها أو تجاهلها ومحاوله تجاوزها وحسب، وإنما يشكل لنا دليلا وصراطا مستقيما للتعامل مع الأزمات وكيفية إدارتها بعد وقوعها، وتجنبها قبل حدوثها؛ كما أن السير في الأرض واكتشاف السنن لا يدل على أسباب السقوط والنهوض فقط، وإنما يمنح العبرة والدروس والفقهاء بكيفية التعامل مع الأزمات وكيفية تجاوزها."^٢

ولعل إغفال الكثير من المفسرين والمفكرين للمنهج السنني في فكرهم ومشاريعهم الإصلاحية أدى إلى ضياع طاقات كثيرة..

لأن السنن الإلهية تُلهم الناس طريق الصلاح في الأرض، ذلك بأن وظيفتها الأساس هي العمل على إصلاح المجتمع البشري أديبا وماديا، والسعي لتطهيره من كل الشوائب والآفات، حتى لا يبقى فيه أثر للمساوئ والمعائب،

^١ عبده، محمد. "الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية"، مجلة المنار، المجلد الخامس (١٦ جمادى الآخرة - ١٣٢٠هـ)، ص ٤٤٣. طنطاوي، جوهري. أحلام في السياسة وكيف يتحقق السلام، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، ص ١٨.
^٢ حسنة، عمر عبيد. المنهج السنني أفق حضاري متجدد، بيروت-عمان: المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٣٠.

وبذلك يتفادى الوقوع في الكوارث والنوائب والأزمات، ويصبح مجتمعا صالحا، جديرا بأن يوصف بكونه إنسانيا، لأنه ينهج نهجا أخلاقيا قيما رانيا.

إن العناية بالسنن الإلهية مجال ما يزال من الثغور الفكرية المفتوحة في الفكر الإسلامي والتي تحتاج إلى المربطة عليها بالتفكير والتأصيل والتأسيس والوعي والاستيعاب والتنزيل..

ذلك بأن تأسيس الوعي بكون القرآن المجيد يمثل خلاصة كلية كاملة شاملة لمنظومة سننية دينية وحضارية وكونية، من أهم ما يجب أن تهتم به الدراسات الشرعية والاجتماعية المعاصرة؛ لأن الارتقاء بنظرنا في آي القرآن الكريم إلى هذا المستوى من الوعي السنني، سيمكّن الأمة عامة من الاستفادة القصوى من هداياته العظيمة وبصائره اللطيفة.

لقد منح القرآن الكريم العقل الإنساني مفاتيح الحياة والكون والإنسان، هذا البناء الكبير والفضاء الواسع المملوء بالأسرار والرموز لا يمكن للإنسان فهمه وإدراك كنهه والوعي بالنواميس التي تسيره وتنظم شؤونه إلا بفقهِ السنن الذي هو مفتاح الحياة.

ومن ثم فإن الانحسار الحضاري والهزيمة النفسية والاستنقاع الاجتماعي الذي تتجرع آلامه الأمة اليوم كان بسبب العدول عن الانضباط والانسلاك بالسنن الإلهية التي شرعها الله للشهود الحضاري والنهوض بأمانة الاستخلاف في الأرض.

إن عملية النهوض بالواقع المعيش تتطلب التزام المنهج السنني واكتشاف السنن الإلهية وفهم آلية عملها، ومن ثم امتلاك القدرة على تسخيرها ومدافعة سنة بسنة..

من أجل هذه المهمة الخطيرة الشريفة انبرى جلة من المفكرين والعلماء للبحث والتفكير في السنن الإلهية الكونية والاجتماعية، إبرازها، ووعيا بها، وحثا للأمة على العمل بمقتضياتها، ومن هؤلاء الأعلام الكرام: المفكر الإسلامي الكبير الدكتور عبد الحميد أبو سليمان -رحمه الله- الذي قدم من خلال مؤلفاته العديدة والمتنوعة معالم رؤية شمولية لفقهِ الحضاري السنني في الكتاب والسنة، يمكن من خلالها قراءة الواقع وفقهه والوعي به ونقده ورسم خارطة للنهضة الحضارية للأمة.

والمتابع لإنتاجه الفكري يقف عند هذا الحضور المتميز للسنن الإلهية فيه نظيرا وتأسيسا، ووعيا واستشرافا، مستنيرا بالوحي القرآن في كل ذلك.

هذا ويحظى المنهج السنني في الفكر السليمانى بأهمية كبيرة؛ وقد اعتبره منهجا إسلاميا كليا في غاياته الكلية الروحية والخلقية، شموليا تحليليا في انضباطه والتزامه الغايات الإسلامية التعبديّة والعمرانية الاستخلافية الخيرة.^٣

ونظرة سريعة على مختلف عناوين إنتاجه ترسم لنا الدائرة المعرفية التي يتحرك فيها، كما سيأتي بيانه في هذا البحث.

^٣ ينظر: أبو سليمان، عبد الحميد. انخيار الحضارة الإسلامية وإعادة بنائها، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ٤٣٧هـ/١٦/٢٠٢٠م، ص ٢٢.

أولاً: الوعي السنني السليماني من إصلاح الإنسان إلى صناعة المجتمع وال عمران

١- أسس الوعي السنني السليماني:

أ. البناء على أساس الوحي (النقل):

إن أسس الفكر الحضاري السنني في تصور الدكتور عبد الحميد تقوم على الوحي القرآني أولاً؛ ذلك بأن المتتبع لرؤية القرآن للوحي ووظيفته في الحياة يخرج بنتيجة أولى واضحة بل وحاسمة، وهي أن الوحي يشكل منظومة معرفية سننية كونية مستقلة، لا غنى للحياة البشرية عنها.

يقول الدكتور أبو سليمان: "إن خطاب القرآن الكريم إنما هو بكل بساطة تعبير عن الفطرة الإنسانية السوية السوية الغائية الإيمارية الأخلاقية، وعن سنن الفطرة والكون من حولها، والتي ليست هي إلا حقائق الخلق وجوهرة، والتي جاء الوحي (النقل) لا ليتجاوزها، أو ليتنكر لها، أو ليغيرها، وإنما جاء لكي يجعل جوهر هذه الفطرة السوية الإنسانية والسنن الكونية في بؤرة وعي الإنسان، وفي بؤرة إدراكه، وذلك لكي يرشد فطرة الإنسان، ويهدي مسيرته في سعيه لتحقيق ذاته وفطرته الإنسانية الروحية السوية، والاستجابة لحاجات فطرة خلقه ونوازعه التسخيرية الإيمارية الحضارية، وبالأسلوب والوسائل البناءة الصحيحة، وبذلك يهتدي سعي الإنسان، ويتمكن من حسن استخدام سنن الكون من حوله، وتسخيرها بالأسلوب الكفء الخيّر البناء لتحقيق فطرة ذاته الروحية، والحصول على حاجات فطرته المادية؛ فيرتقي بوجوده، ويحقق ذاته وسعادته روحياً ومادياً في هذه الحياة وباتجاه الملاء الأعلى والوجود الأسمى؛ وذلك بالسعي بالإصلاح والإلتقان والتسخير والإعمار، وبالعطاء والبذل؛ لأن قيمة الإنسان الحقيقية ونفعه ورضاه عن ذاته إنما يتحقق بالسعي والقدرة والإبداع والنفع والعطاء؛ لأن آفاق الإنسان في الإبداع و العطاء لا حدود لها، في حين أن حاجاته المادية الحقيقية، إن سعى حقيقة من أجل إشباعها فقط، ما أقلها وأيسرها؛ ولذلك فإن قيمة الإنسان الحقيقية تكمن في النفع والإصلاح والعطاء، والخسارة والعناء تكمنان في الأناية والشح والاكنتاز."^٤

ومن خلال ما تقدم فإن رؤية الوحي للكون والإنسان وال عمران هي الخلاصة النهائية الخاتمة لمسيرة الوحي الإلهي، ومن ثم فهو مركز المنظومة المعرفية السننية الكونية الكلية الخاصة بالوحي الإلهي، والأساس المركزي للفكر الحضاري السنني والمعرفة البشرية الضرورية.

ذلك بأن هذه "الرؤية القرآنية التي تنظر إلى الإنسان نظرة شمولية، لا تفرق بين مسؤولياته الفردية في حفظ النفس، ومسؤولياته الجماعية في حفظ المجتمع والأمة، ويشمل بعدها الروحي كل أعمال الإنسان، وتجعل من كل أعماله عبادة بحسب الغاية والقصد."^٥ أي هي رؤية تخص الفرد وتخص الجماعة أيضاً، وتقصد إلى إصلاح الدنيا وصلاح المآل في الآخرة أيضاً.

أضف إلى ما سبق أن الفكر السنني السليماني يقوم على الأساس الثاني وهو السنة النبوية الصحيحة والمنهاج النبوي العملي - (السيرة النبوية) - الذي يعتبر مسرحاً لتطبيق السنن وترجمة عملية لها، وفهماً صحيحاً لتنزيلها، وهي أيضاً حكمة تنزيل سنن الوحي وتحقيق هداياتها ومقاصدها وأبعادها في الزمان والمكان.. يقول الدكتور عبد الحميد:

^٤ أبو سليمان، عبد الحميد. الرؤية الكونية القرآنية الحضارية، القاهرة: دار السلام، ط، ٢٠٠٩م، ص ٤٣-٤٤.
^٥ أبو سليمان، انخيار الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٥٠.

"إن الرؤية الإسلامية الكونية الحضارية حين تجلّى صورتها القرآنية وتستصحب الذاكرة معها، ما تحقق بها على عهد النبوة وحكمة تنزيل النبوة لهذه الرؤية في ظروف ذلك العهد الزماني والمكاني، وبذلك التنزيل والتطبيق في واقع حياة الإنسان تقوم الحجة الدامغة على إمكان تطبيق هذه الرؤية في واقع الحياة الإنسانية، ويتضح أنه لا مجال في هذه الرؤية للتعارض مع الفطرة والسنن."^٦

ومن هذا المنطلق، فإن السنة الصحيحة التي توافق روح القرآن ومقاصد، ويراعى فيها السياق الزماني والمكاني، هي الأساس الثاني للفكر السليماني.

ب. استحضار مبدأ التوحيد (مصدر المعرفة الإسلامية):

إن التوحيد هو مرتكز كل الدعوات الرسالية في التاريخ، ومقصدها الكلي الأساس، وهو قطب الرحى الذي تدور حوله حركة الكون كلّها، وتقوم عليه الخلافة البشرية في الأرض، وأيّ خروج عن ثوابته وضوابطه يخل بمقتضيات الخلافة، ويجعل الوجود الإنساني عرضة لأخطار محققة في العاجل والآجل، كما جاء ذلك في القرآن الكريم وعلى لسان النبي الأمين ﷺ، ومؤكّد في الخبرة البشرية على مر التاريخ. ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، ومن أراد التأكد من حقيقة عواقب الإخلال بثوابت التوحيد ومقتضياته فعليه أن يدرس حوادث الأمم المُتَقَدِّمَةِ وَمَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ، وما حل بديارهم، وكيف كان مآلهم.

من أجل ذلك كان التوحيد هو المبدأ الأساس الذي يرتكز عليه الوعي السنني السليماني؛ "لأنه هو الإجابة الكونية الفطرية السوية للبعد الروحي للإنسان في فهم ذاته مبدأ ومآلا، وهو سقف المنطق الإنساني في فهم أبعاد الحياة والوجود،"^٧ وما وراءهما.

فإذا "كانت فطرة الكون وتكامل نظامه يحتم وحدة الخالق وقدرته، فإن إبداع الكون وإتقان صنعته وإحكام نظامه، يفسر ويحتم أيضا وحدة هذا الخلق السببية التكاملية."^٨

لذلك فإن "إمكانات العلم السنني، وما يكشفه للإنسان من عظيم إبداعات الكون على وجه الأرض، وفي أعماق البحار، وفي آفاق السموات ومجرات الفضاء المذهلة الفسيحة في دقة نظام الكون، وتكامله واتساق تكوينه وسننه؛ تعين الإنسان على إدراك أبعاد (الوجود المادي) ومنطقه، وأبعاد (وجود ما وراء المادي)، وهذا الإدراك يعطي الوجود (ما وراء المادي) بعدا آخر، بمنطق آخر مختلف عن منطق الإنسان، وعن منطق المادة... وكل ذلك يزيد المؤمن والعالم تواضعا؛ ليأخذ حياته الدنيا ومهمته الفطرية الاستخلافية الأخلاقية الإيمارية الخيرة مأخذ الجد، فيحقق الإنسان المسلم بذلك ذاته وسعادته، والرضا عن نفسه في الحياة الدنيا، وتطمئن نفسه السوية الخيرة إلى مصيره فيما وراء الحياة حين تنكشف للإنسان في الدار الآخرة الصورة الكاملة."^٩

وهكذا فإن الرؤية السننية التي يؤسس لها الدكتور عبد الحميد من خلال مشروعه الفكري الرائد هي "رؤية توحيدية غائية أخلاقية إيمارية خيرية حضارية تعبر عن الفطرة الإنسانية السوية، وهي بذلك رؤية علمية سننية

^٦ أبو سليمان، الرؤية الكونية القرآنية الحضارية، مرجع سابق، ص ٤٧.

^٧ أبو سليمان، الرؤية الكونية القرآنية الحضارية، ص ١١٥.

^٨ المرجع السابق، ص ١١٨.

^٩ المرجع السابق، ص ١١٩-١٢٠.

تسخيرية تهدف إلى جعل عناصر الفطرة الإنسانية السوية في بؤرة الوعي الإنساني؛ لتهدى مسيرة الحياة الإنسانية، وترشدنا؛ كي يحقق الإنسان ذاته السوية في أبعادها الفردية والجماعية، ويستجيب في وسطية واعتدال لحاجتها ومتعتها، على مدى أفق الوجود الإنساني بكل أبعاده الروحية والإبداعية والعمرانية.^{١٠}

ومن ثم فإن الوقوف على سنن الله الهدائية التي حث على السير في نورها، والاطلاع على نواميسه ونظامه الذي أقام عليه الكون والحياة، يكشف لنا أن سنن الله تعالى في الكون والحياة لا مجال للصدفة فيها وأن الأمور لا تمضي جزافاً، ليمتلئ القلب إجلالاً وتعظيماً وتوقيراً للواحد الأحد الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، ولكفى ذلك المؤمن ليوحده الله تعالى ويفرده بالعبادة، وينهض بأمانة الاستخلاف فيزداد هدايةً وتبصيراً..

ت. التعامل مع نصوص الوحي بما ينسجم مع مقاصدها الهدائية السننية:

إن مخالفة هذا الأساس سيؤدي لا محالة إلى التجني على العظمة الهدائية السننية للوحي في مجالات الكون والحضارة، فنتفقه الكثير من قوته التأثيرية الذاتية فينا.

يقول الدكتور أبو سليمان: "ولما كانت الفطرة والسنن والواقع الكوني هي حقائق موضوعية فإن معرفة موضع الصواب والخطأ في أي قضية إنما يتم في علاقة ذلك بالوحي بتحرير الحقيقة الموضوعية، في الفطرة والسنن والواقع من ناحية، ومن ناحية أخرى حسن إدراك الرؤية القرآنية في الأمر ووجه التوحيد والإرشاد بصددها، فإن ثار خلاف أو مظنة في تحقيق المصلحة، فإن المطلوب هو مزيد من تحرير الفهم والإدراك في فهم الوحي، أو معرفة الحقيقة العلمية بشأن الواقع والسنن حتى يصبح وجه الحقيقة في موضوع الخلاف بيننا يتجلى فيه وجه الحق والباطل، ووجه الخير والشر، ووجه الصلاح والفساد، دون غبش أو سفسطة، وما وراء ذلك ليس تعدداً للحقيقة، ولكنه اختلاف للمواقع والزوايا في الحالات، في الزمان والمكان، وهذا إذا أحسن فهمه فإنه يوحد ولا يفرق؛ ذلك بأنه وحدة في تنوع، وتنوع في وحدة."^{١١}

إن السنن التي جاء بها الوحي هي الميزان والمعيار الذي نزن به أحوالنا، وهي الفلسفة القرآنية التصورية للحياة الإنسانية وأبعادها الغائية، إذ من خلالها يتبين لنا الحق من الباطل، والخير من الشر، والصلاح من الفساد، ويأدراكها ندرك الناموس الإلهي الذي يحكم طبائع الأنفس والمجتمعات والكون بأسره، فهي الحجر الأساس ومنطلق النهوض والإصلاح والبناء.

"وهكذا فإن فهم طبيعة الكتاب الكريم والسنن النبوية المطهرة، ومعرفة الفطرة والطبائع الإنسانية والنواميس الكونية، وإدراك الواقع الزماني والمكاني بإمكاناته وتحدياته، أمور منهجية ضرورية لبناء مناهج التربية والتعليم، واستفادة الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، وإدراك طبيعة منظومة عقيدتها وفكرها ليتم استنهاض الأمة، وإعادة بناء حضارة العدل والعلم والعالمية والسلام."^{١٢}

^{١٠} المرجع السابق، ص ٥٤.

^{١١} أبو سليمان، الرؤية الكونية القرآنية الحضارية، مرجع سابق، ص ٤٧.

^{١٢} المرجع السابق، ص ١٠٩.

وهذا يعني أننا في حاجة ملحة ضرورية لبناء فقه الكليات المقاصدية الحضارية السننية القرآنية لبناء مناهج التربية والتعليم، والمعرفة والفكر، حتى نخرج من ضيق الفكر التجزيئي التبعضى الانتقائي التبريري الذي يهتم بالجزئيات والفرعيات، إلى آفاق الفكر السنني التحليلي الشمولي الذي يهتم بالكليات، وبالفرد والجماعة، والمجتمع والحضارة.

ث. ربط الوعي بالسعي:

إن الرؤية السننية السليمانية انطلقت من القرآن الكريم الذي يدعو إلى ربط العلم بالعمل، والوعي بالسعي، والفكر بالفعل، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ [النجم: ٣٩-٤١].

إن القرآن الكريم يدعو في آيات كثيرة إلى العمل الصالح والأخذ بالأسباب، ويوصي المؤمنين بذلك، "وهذه الوصية من أعظم دعائم الإصلاح في المجتمع البشرى وهادمة لأسس الوثنية، وهادية للناس جميعا إلى ما تتوقف عليه سعادتهم في الدنيا والآخرة، فإن العمل وحده هو وسيلة الفوز وطريق النجاة، لا كما يزعم الوثنيون من طلب رفع الضر وجلب النفع بقوة من وراء الغيب، وهي وساطة بعض المخلوقات الممتازة ببعض الخواص والمزايا بين الناس ورحمهم، ليعطيهم ما يطلبون في الدنيا بلا كسب ولا سعي من طريق الأسباب التي جرت بها سنته في خلقه، وليحملوا عنهم أوزارهم حتى لا يعاقبوا بها، أو ليحملوا الخالق على رفعها عنهم وترك عقابهم عليها، وعلى إعطائهم نعيم الآخرة وإنقاذهم من عذابها." ١٣

لذلك لا بد أن يدرك الإنسان أن الله تعالى لم يخلق هذا الكون عبثا، وإنما خلقه ويسر سبل تسخيره له، بما بث فيه من سنن ونواميس تتحقق بها خلافة الإنسان في الأرض، وسعادته في الآخرة.

هذا الإدراك لمعنى وجود الإنسان في الحياة، ولحقيقة الكون وما أودع الله فيه من أسباب، "تجعل من الواضح للإنسان أن وسيلته ومآل مسؤوليته في هذه الحياة، إنما تتعلق بالأسباب وبإدارة السنن والنواميس التي أودعها الله للنفوس والخلائق والكائنات. وأن دوره إنما يكون بالفعل من خلال هذه الأسباب والسنن، والسعي بمقتضاها." ١٤ ذلك بأنه بالجمع بين التوكل على الله تعالى والأخذ بالأسباب ينهض المسلم بوظيفته في هذه الحياة، ويؤدي رسالته على أتم وجه، ويحقق خلافته في الأرض؛ وفي هذا الصدد يقول الدكتور أبو سليمان: "بنقة التوكل في إيمان المسلم وإقدامه على مواجهة العقبات والتحديات وبجدية في العمل والسعي في الأخذ بالأسباب وتسخير السنن، تكون قوة المسلم، وتكون قدرته، ويكون إبداعه ويكون عطاؤه، وعندئذ -وقد أدى المسلم واجبه وحمل مسؤوليته بإلحاق العمل الصالح بالإيمان- يكون مستحقاً لوعده الله سبحانه وتعالى بتمكين المؤمنين وتأييدهم ونصره لهم على ما يدبر من عظيم قدرته وهيمنته وواسع علمه ورحمته.

وما شاهدناه في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسلفه من جدية التدبير والتفكير، وجدية الأخذ بالأسباب مع عظيم الجرأة والإقدام، هو ثمرة هذا الفهم وهذا المنهج. فكانت القدرة وكانت القوة وكان النصر." ١٥

١٣ المراغي، أحمد. تفسير المراغي، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م، ٩٢/٨.
١٤ أبو سليمان، عبد الحميد. أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط: د، ص ١٧٢.
١٥ أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، مرجع سابق، ص ١٧٣.

وعلاوةً على ذلك فإن إعادة تشكيل العقلية الإسلامية وفق هذه الرؤية السننية الجامعة بين السببية والتوكل على الله تعالى، والإيمان والسعي، يخرج الإنسان من وضع الآلة إلى وضع الآية، ويرتقي به من وضع السلعة إلى وضع الهبة، ومن حضيض الحيوانية إلى مقام الأدمية المكرمة، ويتصل بأفق الكمال اللامتناهي، وبكل هذا ترتقي الأمة إلى مرتبة الأمة الشاهدة، ويُحفظ العمران ويزدهر.

٢- أثر الوعي السنني السليماني في إحياء العقل المسلم:

إن الفكر السليماني كشف عن أزمة العقل المسلم، بسبب ابتعاده عن الرؤية الكلية القرآنية، ذلك بأن ما تعرضت له الأمة من نكسات، وخوفها من النهوض من جديد انتهى بها "إلى الوقوع في قبضة التقليد وجمود فكر القيادة الفكرية (العلماء) الذين لم يعد لهم منابع عملية اجتماعية وسياسية يستقون منها من جانب، وإلى الوقوع في قبضة الاستبداد والقهر والتدهور السياسي والاجتماعي من جانب آخر، حيث إن القيادة السياسية والاجتماعية لم يعد لها أيضاً قاعدة فكرية تستند إليها وتستقي فكر الحلول والتطور والبدائل منها.

وهكذا أصبح التقليد والجمود الفكري يلف الأمة من جانب، كما يلفها القهر والاستبداد السياسي من جانب

آخر. ١٦

من أجل ذلك ربط القرآن المجيد الجمود وموت المنطق بالتقليد الأعمى الذي تراكم في العقل الجمعي السَّليبي للكفار في الآية الكريمة: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، نعى على المقلدين الأخذ بآراء من سبقهم من آبائهم دون بحثٍ ولا تمحيص...

وعليه، إن التقليد من أهم أسباب انحسار التفكير السنني، حيث تم استدعاء آراء قديمة إلى واقعنا المعيش لم تكن صالحة حتى في عصرها، فبالأحرى في عصرنا هذا الذي شهد تحولات عميقة، وواجه تحديات اجتماعية وحضارية وسياسية وقيمية متعددة..

إن الإصرار على التقليد والجمود على فكر معيّن غابر هو استلاب الحاضر لمصلحة الماضي، ومصادرة الزمن لمصلحة فترة تاريخية معينة.

وهكذا فإن التقليد مضاد للسنن الإلهية، فهو يعطل العقول عن إدراك حركة الحياة ومساييرة الزمن وفهم مستجدات العصر، ويقعدها عن أداء وظيفتها الرسالية الاستخلافية الأخلاقية..

إن هذا الشلل الذي أصاب العقل المسلم وحال بينه وبين التفكير، أدى إلى الإعراض عن الفكر السنني وإغفاله، وتقليد الآباء، واتباع الأهواء.

وفي سبيل إحياء العقل والعودة به إلى الفطرة السليمة والرؤية القرآنية السننية الكلية لا بد من إعادة بنائه من

جديد على نور الوحي وهدايات سننه الكلية.

^{١٦} المرجع السابق، ص ٣٩.

وهذا يعني بالدرجة الأولى الوعي الكامل بالسنن الإلهية، وجعلها منطلقاً للتفكير الإسلامي، لإعادة الصلة بين الوحي والعقل، "أي بإعمال العقل في إدراك الوحي وقضائيه، وهداية العقل بغايات الوحي الكلية الكونية وقيمه الحياتية والحضارية".^{١٧} من أجل صناعة العقل المسلم من خلال هذه الرؤية السننية والمقاصدية الكلية. ذلك بأن السننية - حسب الفكر السليماني - مرتكز أساس، وقاعدة مهمة "في حياة الإنسان المسلم وتكوين عقليته وبناء منهج فكره. ففطرة الإنسان وعقيدة المسلم توضح له أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلائق والكائنات، وأودعها السنن والنواميس، وأوكل أمر إدارتها ورعايتها وتسخيرها إلى الإنسان للسعي في أمرها بالإصلاح والإعمار، وقد مكن الله سبحانه وتعالى للإنسان القيام بمسؤولياته والتعبير عن إرادته بواسطة الفعل بالأسباب، وما تقتضيه من علاقات السنن والنواميس. ولذلك فدون السببية لا مجال للعقل المسلم ولا سبيل للفطرة الإنسانية من وسيلة إلى أداء مسؤولياتها في الخلافة وإدارة الكائنات وتسخيرها، إلا بالأسباب واتخاذها والسعي بها بكل جدية وفي كل أمر من أمور الحياة. والإنسان إذا ما سعى بالأسباب وسخر السنن والنواميس للتعبير عن إرادته وأداء واجباته في خلافة الأرض، فإنه قد أدى واجبه واستجاب لفطرته، وحمل مسؤوليته في التعامل مع نظام الحياة والكون، وليس من شأنه - في المحصلة النهائية - تحديد موقع جهده وسعيه من خارطة الكليات الربانية، فليس هذا من مسؤوليته ولا من حدود علمه أو إدراكه".^{١٨}

وعلى هذا الأساس فإن الوعي السنني الذي يهدف إليه الفكر السليماني ضروري في حياة المسلم، من أجل إخراج العقل المسلم من تيهه، وتحريره من أبتريته وأوهامه وهواه وورطته؛ للارتقاء به إلى عقل الفطرة؛ العقل الكوثر الذي يكثر خيره ونفعه وعطاؤه، والسفر به من عالم الملك إلى عالم الملكوت. ومن أجل أيضاً بناء المنهجية الإسلامية والإرادة الإسلامية والفعل الإسلامي والعقلية الإسلامية على أسس سننية ثابتة وقوية تنطلق من مفهوم السببية وجدية التزامها علماً وعملاً، ونظراً وتنزيلاً، ووعياً وسعيًا. وتقريراً لذلك فإن العقل هو "الأداة والوسيلة الأساسية لخليفة الأرض، المتصرف في الأرض؛ لتسخير إمكاناتها وخيراتها؛ للاستجابة لحاجاته وإبداعاته ومبادراته وإعمارها، بواسطة أداة العقل بالنظر والتفكير، والبحث وطلب المعرفة؛ لأن المعرفة الحقة الصحيحة الموثوقة لا يمكن أن تحصل فطرة وعقلاً إلا بالفهم العلمي الموضوعي التحليلي النقدي الشمولي المنضبط، وبكل وسائل العلم والمعرفة الموضوعية المتاحة، والتي تتنوع بحسب الظرف والموضوع، كل ذلك شرط ضروري في طلب المعرفة الصحيحة حتى يكون الإدراك من الناحية السببية الموضوعية موثقاً سليماً، وحتى يأتي طلب المعرفة وتلمس الهداية السننية الموضوعية بشكل منتج فعال، وعلى أساس سليم من الفطرة والسنن، وحقائق الواقع المعاش".^{١٩} وإلا فإن العقل إذا تنكب المنهج السنني فلن يحدد إلا الخيبة والحرمان، والعطالة والقعود، والقصور في أداء الوظيفة التي أنيطت به بنص الوحي.

^{١٧} أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، مرجع سابق، ص ٤٤.

^{١٨} المرجع السابق، ص ١٧٠-١٧١.

^{١٩} أبو سليمان، الرؤية الكونية القرآنية الحضارية، مرجع سابق، ص ١٤٧.

من أجل ذلك كان "الإدراك العقلي الموضوعي للفطر الإنسانية وسنن الوجود وواقع الحياة هو السبيل الفطري العقلاني إلى فهم الحياة والوجود، وواقع مسار التعامل الإنساني معها، ومن دون التعامل العقلي العلمي الموضوعي السنني الشمولي، في هذه المرحلة المتقدمة التي حققها تطور الإنسانية ونضجها، لا يكون الحال - كما هو ملموس ومحسوس - إلا عالماً من الفوضى والعبثية والتخلف والتخريف والشعوذة، وهو ما ترفضه الفطرة السوية، وينكره الواقع الذي نعيشه، وتأباه أولويات العقل الحضاري السليم وبدهيته، وبغير ذلك تنتفي بدئية وحدانية الخالق وتوحيدية الخلق الفطرية، ويتنفي معها حس المسؤولية، ولا يكون إلا التشوه والتظالم والفوضى والفساد."^{٢٠}

ونجد الدكتور عبد الحميد يعبر في مواطن كثيرة ويؤكد أن سعادة العقل وإحياءه وأداء وظيفته على أتم وجه لا يكون إلا باستهدائه بهدايات السنن، إذ بهذه السننية يصبح العقل مؤهلاً لامتلاك رؤية واضحة لاحبة، وفهم صائب موفق، ووعي حكيم.. وفي هذا يقول: "إن العلاقة الصحيحة بين الوحي (المسطور) والفطرة والسنن (المنظور) والعقل (الميزان)، تكون فيها الفطرة والسنن هي موضوع الوحي الذي يعبر عنه، وتكون بدديات العقل هي الأداة والوسيلة التي تعين الإنسان على إدراك قضايا الوحي، وكيفية ترشيد الوحي للإنسان حتى يمكنه من تحقيق أكبر قدر من التعامل الصحيح الإيجابي البناء مع مكونات الفطرات الإنسانية السوية والسنن والنواميس الإلهية الكونية."^{٢١}

٣- الوعي السنني طريقاً إلى الإصلاح الاجتماعي:

إذا كان للوعي السنني أثره العظيم في إصلاح العقل المسلم، وإنقاذه من أزمته، فمن الطبيعي أن يكون له أثره أيضاً في الإصلاح الاجتماعي..

ذلك بأن السنن الإلهية في القرآن الكريم جاءت في سياق اجتماعي عمراي؛ لأن المقصد منها هو تنظيم المجتمع البشري وإصلاحه، حتى لا يتسرب إليه الوهن والفساد.. إذ الوعي بالسنن والعمل بها يحقق في النهاية مجتمعا متماسك البنيان، راسخ الأركان، سائراً إلى الأمام، مطرد النمو.

والحاصل أن الرؤية السننية القرآنية تهدف إلى إصلاح المجتمع وبناء العمران، يقول الدكتور أبو سليمان: "إن الرؤية الإسلامية الكونية الحضارية هي رؤية شمولية علمية سننية، وهي رؤية إيجابية ورؤية حب وخير وتسخير وإعمار، وهي تمثل أساس تفعيل القوة والدافعية الإيمارية لدى الإنسان المسلم الذي تتضافر في تكوينه وفطرته السوية وفقاً للرؤية القرآنية قوى الحب والضمير والعقل والمعرفة، وقوى الإرادة الحرة، والوجدان السليم، وقوى العقيدة الصحيحة، والإيمان الصادق؛ ليجسد الإنسان المسلم فطرياً، كل ذلك في واقع المجتمع وعلاقاته التوحيدية التكاملية، وفي بناء صرح الحضارة الإنسانية الإيمارية الروحانية الحرة."^{٢٢}

فإذا كانت الرؤية القرآنية السننية رؤية تسخير وإعمار، وخير وإصلاح، وسعي وبناء، "فإن من المهم للأمة المسلمة وللإنسانية تجلية الرؤية القرآنية الكونية في بناء المجتمعات، وفي علاقات الشعوب والأمم؛ لأن ذلك هو طوق النجاة لترشيد المرحلة العلمية السننية العالمية، وتمكين حضارة العدل والسلام."^{٢٣}

^{٢٠} المرجع السابق، ص ١٤٨.

^{٢١} المرجع السابق، ص ١٤٩.

^{٢٢} أبو سليمان، الرؤية الكونية القرآنية الحضارية، مرجع سابق، ص ٦٣.

^{٢٣} المرجع السابق، ص ٩٥.

وهنا من الأهمية بمكان القول: إن المتتبع لسور القرآن الكريم وآياته الكريمة يرى حديثه المستفيض عن السنن الإلهية: سنن الهداية والضلال، والإيمان والكفر، والخلق والأمر، والنصر والهزيمة، واليسر والعسر، والرخاء والشدة، والابتلاء والتمحيص، والرحمة والعذاب، والتغيير والبناء، والأسباب والمسببات، والاختلاف والتنوع، والتميز والتفاضل بين البشر، والتدافع بين الحق والباطل، والنعم وتغييرها، والرزق والأجل، وقيام الحضارات وانحيارها، وهلاك الأمم وإحيائها، والجزاء من جنس العمل، والاستبدال والتداول، والتدرج والاستدراج، والإنذار والإعذار، والتسخير والتعمير، إلى غير ذلك من السنن التي تحكم الحياة الإنسانية طبقاً للمشيئة الإلهية.

ولا يقتصر القرآن الكريم والكتاب المجيد على مجرد عرض السنن الإلهية، وضرب الأمثلة التطبيقية لها من حياة الأمم الغابرة، بل إنه يدعو الناس في كثير من آياته إلى السير في الأرض والنظر فيها وتدبرها، والأخذ بسنن النجاة والابتعاد عن سنن الهلاك، حتى يحقق كل فرد النجاح في الدنيا والفوز والنجاة في الآخرة.

ذلك بأن الرؤية القرآنية السننية في حثها على السير في الأرض والنظر في آفاق هذا الكون الواسع والوقوف على تاريخ الأمم والحضارات السابقة ليست دعوة إلى غيبوبة وانحباس في الماضي؛ وإنما هي دعوة إلى استصحاب التجارب التاريخية والمعارف الإنسانية والكشوف العلمية لتحقيق الإبصار والاعتبار، والاعتبار يرشد إلى الصوابية في تقويم الحاضر وإصلاحه وبنائه ومنح القدرة على العبور إلى استشراق المستقبل وامتلاك الرؤية على تصويب الخلل وتجنب الإصابات الاجتماعية والانكسارات التاريخية والانتكسات الحضارية والأزمات القيمة واكتشاف أفق جديد للنهضة العمرانية للأمم من خلال الإمكانيات المتاحة والظروف المحيطة والسنن المسخرة.

وبناء على هذا التصور فإن المجتمع والعمران لا يزالان قائمين مستقرين آمنين ما دام الإنسان المستخلف فيهما على صلة وثيقة بالسنن الإلهية تنظم شؤونهما وتضبط كل شيء فيهما. وكلما ساءت وضعفت وتلاشت هذه الصلة كان ذلك إيذاناً بالخراب والانحيار وتناثر حبات عقدهما وانفكك عراها.

ذلك بأن انفلات جبل السنن من يد الإنسان وفقدان سلطانهما على النفوس كان هو قاصمة الظهر التي أحدثت انكساراً مهولاً مريعاً في البناء الاجتماعي والحضاري للأمم؛ أي أن أزممتنا اليوم وأمس هي تنكبنا المنهج السنني الذي هو العلامة المباشرة في تحلّفنا وغنائيتنا اليوم.

ثانياً: الجدة في الطرح السنني السليماني: مقارنات ومقاربات

١- الطرح السنني السليماني: عطاء وثناء

إن الطرح السنني السليماني عطاء مثمر ومتميز، فهو لا يكتفي بالعلم بالسنن فقط، وإنما يدعو أيضاً إلى الوعي بها والعمل بمقتضاياتها، يقول: "فبالعمل والسعي بأسباب الخلق وفطرة الطباع، وبطلب السنن الإلهية الكونية يتحقق التأهيل للحصول على الثمر، وتكون المسؤولية، فذلك شرط لازم، ودون ذلك لا يكون أصلاً أي استحقاق لأي أحد، وليس في العجز والقعود عن طلب الأسباب والجري وراء الخرافة والأوهام ما يؤهل لاستحقاق أي ثمر في عالم حياة الإنسان، وليس في شيء من أوهام الخرافة والشعوذة أي معنى من معاني التوكل والسعي واتباع السنن الإلهية

الكونية التي لا بديل عنها في إدارة شؤون الحياة، ولأن حقيقة التوكل والدعاء ونفعهما إنما تكون بعد أداء العمل وبذل السعي والكد والاجتهاد، ويقصد بهما طلب عون الله تعالى بشأن كليات أمور الكون التي لا ندركها، ولا يسعها عملنا، ولا سيطرة لنا عليها، والتي يملك الله وحده أمر عملها ومقاليدها وتصريفها، وذلك هو التوكل؛ أي العمل والسعي وطلب السنن والأسباب، ثم التوجه إلى الله تعالى بطلب العون والتوفيق منه، أما العجز والكسل والقعود عن طلب السنن والأسباب ثم القعود والتلوي بِلَوْك الدعوات؛ فذلك هو التواكل والانحراف عن طريق الإسلام، وعن طريق السنن، أما إن لجأ المرء إلى ممارسة الشعوذات وطرق أبواب الدجالين المشعوذين؛ فذلك هو الأذى والزيغ والضلال والوقوع في مزالق الكفر والشرك.^{٢٤}

وهكذا يرى الدكتور أبو سليمان أن تأهيل الأمة من جديد، والنهوض بها، وصناعة إصلاحها الاجتماعي، يقتضي العلم بالسنن الإلهية والعمل بها، فطلب السنن شرط لازم، لكنه غير كاف؛ لأن الطلب يجب أن يتبع بالفعل والعمل والسعي، وهذا وذاك لا يتحققان إلا بعون الله تعالى وتوفيقه صاحب الأمر ومدبر شؤون الكون.

يقول رحمه الله: "خلق الله الكون والكائنات والحياة والأحياء وفطرهم على سنن وقوانين وأسباب، وفي طلب الأسباب تكون الأفعال والأعمال، وتتحقق الغايات، وتعبير الإرادة الإنسانية عن عزمها وتوجهها، ودون طلب الفعل وطلب الأسباب لا تكون الإرادة، ولا يكون العزم، ولا تتحقق غاية ولا تعبير."^{٢٥}

ومن ثم فإن ترك العمل بالسنن الإلهية وعدم الوعي بها هو عجزٌ وتعطيلٌ للحكمة والشرع، ومنافاةٌ لحقيقة التوحيد وروح الدين، وإبطالٌ لأحكامه، وقعود عن أداء الوظيفة المنوطة بنا، واستسلامٌ لأقدار الحاضر المأزوم، وإصرارٌ على عدم التوبة من حوبة التثاقل إلى الأرض والتفاعس عن مهمة الاستخلاف، وعدم رؤية المستقبل.

ذلك بأن "مسؤولية الإنسان في هذه الحياة وفي هذه الأرض هي في القيام بمسؤولية الخلافة والإعمار، وتسخير الكائنات ورعايتها، وذلك بطلب الأسباب والسعي في سبيلها. ومسؤولية الإنسان هي في طلب السنن والأسباب، لأداء الأمانة وإرضاء الحق سبحانه وتعالى إيماناً به وبالغاية التي خلق الله الإنسان لأدائها، وإيماناً وإنفاذاً لقضاء الله فيما أمر به وفيما نهي عنه، وثقة بقدره سبحانه وما أودعه في الكائنات من نواميس وسنن. والمؤمن بعد أداء مسؤوليته في طلب الأسباب والسعي بكل الجد، وفق النواميس والسنن، يؤدي واجبه وأمانته، وهو بعد ذلك يتوكل على الله صاحب الأمر وعالم الغيب ومسير الكون، إيماناً وثقةً بحكمته، فكل قدر الله بالعبد

المؤمن بعد أن يؤدي دوره ويحمل مسؤوليته في طلب الأسباب إنما هو خير له في الدنيا والآخرة."^{٢٦}

إن هذه النصوص تبرز بوضوح تميز الفكر السليماني في مجال السنن، فهو يربط في مواطن كثيرة بين العلم بالسنن والعمل بها، والوعي والسعي، والفكر والفعل، والأخذ بالأسباب والتوكل على تعالى، ودفع قدر (السنن الكونية) بقدر (السنن الشرعية)، فالإيمان سعي، والسعي إيمان.

^{٢٤} أبو سليمان، عبد الحميد. أزمة الإرادة والوجدان المسلم، دمشق: دار الفكر، ط ٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ٨١.

^{٢٥} أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، مرجع سابق، ص ١٢٢.

^{٢٦} المرجع السابق، ص ١٢٢-١٢٣.

وعليه؛ "فالعقل المسلم لكي يسترد عافيته عليه أن يستعيد رؤيته الإسلامية الكاملة المبنية على التوحيد والوحدانية، والتي يتوجب فيها الغائية، وتتوجب فيها السببية، ويتوحد فيها الغيب والشهادة ويتكاملان، ويتوحد فيها الوحي والفطرة (العقل والكون) ويتكاملان، وبذلك ترشد مسيرة هذا الإنسان وهذا العقل، ويجد سعيه ويتحقق له وعد الله بالقدرة والنصر."^{٢٧}

ومن هذا المنطلق فإن الدكتور أبا سليمان يدرك تماما أن مبدأ السببية قانون كوني عليه مدار الحركة في الكون من خلال ثنائية العلة والمعلول، ذلك بأن الله تبارك وتعالى أجرى الكون بما فيه ومن فيه وأقام شؤون ونظامه على قاعدة ربط النتائج بمقدماتها والأسباب بمسبباتها والمعلولات بعلمها على نحو مطرد ودائم لا يتخلف إلا بمشيئة الله وإرادته، فلا سبيل لتحقيق نتيجة ما دون الوفاء بمقدماتها، ولا الحصول على المسببات دون الأخذ بأسبابها، وهي سنة إلهية ثابتة في عالمي الخلق والأمر.

ومن هنا، فإن الله تبارك وتعالى لما استخلف الإنسان في هذا الوجود فطره على هذه الثنائية لتتوافق فطرته مع فطرة الكون، فركب فيه سبحانه وتعالى الإرادة والعمل يتقلب بينهما، فكلما أراد شيئا عمل وسعى في طلبه، وذلك بمباشرة الأسباب المفضية إلى ما يحقق مراده ويوصله إلى مبتغاه.. ذلك بأن النفس البشرية تضيق ولا تكاد تستسيغ وقوع أعمال وتصرفات دون تعليل وتقصيد.. ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ [النجم: ٣٩-٤١].

نصل مما سبق أنه "من المهم أن ندرك دون أدنى شك أن السببية والاستخلاف أمران لا ينفصمان؛ لأن غير ذلك يعني عشوائية الحياة، وانعدام قدرة التصرف ومسؤولياته، فينعدم بذلك معنى الحياة، ومعنى الامتحان، ومعنى الإرادة، وليس في ذلك إلا ترويح للشعوذة والخرافة والضياع."^{٢٨}

إذن، يتضح لنا أن "إنكار السببية العلمية وطلب الأسباب هو إنكار لحقائق الحياة؛ لأنه إنكار للمشاهد من قدرة الإنسان على التصرف والتسخير، وذلك إنكار لأصل الخلق، وأصل الطبع، وأصل حقيقة الحياة."^{٢٩} وتأسيسا على ما تقدم، فإن الرؤية السننية لدى الدكتور عبد الحميد تتلخص في ثلاث قضايا أساسية^{٣٠} عامة، وهي:

أ- في الغيب: إيمان بالخالق وحده لا شريك له؛ أي تحديد الصلة بين الخالق والبارئ المصور وبين الإنسان المخلوق، هذه الصلة التي تتأسس على الإيمان والعمل بكل مقتضياته.

ب- وفي الحياة: شعور بالمسؤولية وتحملها على أتم وجه، وقصد الخير والعدل، والسعي بالإصلاح والإعمار.. ذلك بأن الإنسان خلقه الله تعالى في هذه الحياة الدنيا، وجعل له أجلا محددًا، وهو محتاج لهذه السنن الإلهية التي تنظم له شؤونه الدنيوية وقيامه بأمانة الاستخلاف في الأرض وعبوديته لله تعالى.. "إذ على الإنسان فردا كان أم جماعة السعي إلى تحقيق غايات الخلق الخيرة، وفق ما أودع الله فيه من السنن، في النفس وفي الكون من حوله، على أساس

^{٢٧} أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، مرجع سابق، ص ١٢٧.

^{٢٨} أبو سليمان، عبد الحميد. الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، مرجع سابق، ص ١٤٨.

^{٢٩} المرجع السابق، ص ١٤٨.

^{٣٠} ينظر: أبو سليمان، انبهار الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٨.

هداية الوحي وسنن الفطرة التي أودعها الله في الكائنات.^{٣١} إذ "بالعمل والسعي بأسباب الخلق وفطرة الطباع، وبطلب السنن الإلهية الكونية، يتحقق التأهيل للحصول على الثمر."^{٣٢}

ت- وفي الآخرة والمآل: مواجهة المصير، وحصيلة العمل -برحمة الله- تكون وفق الجزاء العادل، "إن خيرا فخير، وإن شرا فشر".

وبناء على ذلك، فإن هذه الأسس السننية الثلاثة تحمي رحلة الإنسان في حياته الاجتماعية من أي اختراق يهدف إلى إبعادها عن وجهتها، أو خرق سفينتها، أو تمزيق عناصرها، أو الحيلولة دون وصولها إلى غايتها..

وهنا من الأهمية بمكان التنبيه على أن الدكتور أبا سليمان يستعمل لفظة (السنن) في مواطن كثيرة من كتابه: (الرؤية الكونية القرآنية الحضارية)^{٣٣} للدلالة على السنن الكونية، لكن باستقراء آيات القرآن الكريم نجد أن مصطلح (السنة) بصيغة المختلفة جاء في سياق اجتماعي عمراي حضاري؛ فقد وردت كلمة السنة في القرآن الكريم بجميع صيغها ست عشرة مرة: بصيغة "سنة" المفرد ثلاث عشرة مرة، بصيغة الجمع (سنن) مرتين، بصيغة "سننتنا" مرة واحدة، وباستقراء كل هذه الآيات الكريمة يتضح لنا أن المراد بالسنة في سياق هذه الآيات:

- سنة الأنبياء والمرسلين السابقين وشرائعهم وطرقتهم في الأوامر والنواهي، والتحليل والتحريم...

- سنة الله في نصر عباده المؤمنين من الأنبياء والرسل والصالحين وتأبيده لهم والتمكين لهم..

- سنة الله في عقاب الأمم الكافرة وإهلاكها.

ومن ثم فإن الآيات السابقة كلها تتعلق بالمطيعين والعصاة؛ فسنته في أهل طاعته من المؤمنين: إكرامهم، وسنته في العصاة من الكافرين: إهانتهم وعقوبتهم.

هكذا جاء السنن في سياق اجتماعي (سنن الاجتماع) المتعلق بأمر الله ونهيه ووعده ووعيده. أما سنن الله الكونية فقد عبر عنها القرآن الكريم بالآيات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْقُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

والسنن في القرآن الكريم لا تقتصر على السنن الاجتماعية -السنن التي تحكم سلوك الإنسان وحركته الاجتماعية- فقط، رغم إيهام الاستقراء بذلك، بل هو اقتصار مقصود، حكمته التنبيه على السنن الاجتماعية ولفت الأنظار إليها وكونها أيضا لازمة مثل السنن الكونية. وأما تبقى عامة تشمل سنن الطبيعة (الكون) التي لم يسمها القرآن المجيد سنة، لكنه أشار إليها طويلا ودعا إلى الكشف عنها عبر النظر في الكتاب المنظور (الكون) والسير في الأرض الذي عادة ما يرافق إيراد "لفظ" السنة في القرآن الكريم أو معناها. كما في قوله جل وعلا: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا

^{٣١} ينظر: المرجع السابق، ص ٦٢.

^{٣٢} المرجع السابق، ص ٧٢.

^{٣٣} ينظر على سبيل المثال: الصفحات: ٣٦-٣٧-٣٨-٣٩-٤٢-٤٣-٤٤-..

قَدِيرًا (٤٤) ﴿فاطر﴾. وكفوله جل وعلا في سياق حديثه عن سنته في الرسل وسنته في المستهزين بهم: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١٠) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (١١)﴾ (الأنعام).

فهكذا يربط دائما السياق القرآني بين سنن الاجتماع البشري وسنن الكون، لأنها تمثل وحدة متكاملة وإن اختلفت أشكالها؛ فهي صادرة من إله واحد الذي خلق فشرع وأمر.

٢- تصورات الفكر السليماني حول مكانة السنن عند المفكرين الإصلاحيين:

أ. المفكرون الإصلاحيون وقضية السنن:

إن المدارس الإصلاحية ومناهج التفكير الإسلامي قد تعددت مشاربها، وطرائقها، وتوجهاتها، وقد مر بالعالم الإسلامي مفكرون كثر، ومدارس إصلاحية كثيرة في المشرق والمغرب.. لكن هل استوعبت كل هذه الحركات الإصلاحية والمفكرون الإصلاحيون قضية السنن؟ هذا ما يجب عنه الدكتور عبد الحميد أبو سليمان في قوله: "إن جهود الإصلاح والنهضة في العالم الإسلامي قد تعددت وتنوعت على مدى ما يقرب من ثلاثة قرون، بدءا بحركة الإصلاح الديني على يد محمد بن عبد الوهاب (توفي ١٧٩٢م) في جزيرة العرب، وشاه ولي الله (توفي ١٧٣٦م) بالهند، والسلطان العثماني سليم الثالث (توفي ١٨٠٧م)، وما تلا ذلك من حركات الإصلاح الديني على يد أبي عبد الله محمد بن علي السنوسي (توفي ١٨٥٩م) في ليبيا، ومحمد المهدي في السودان (توفي ١٨٨٥م)، وخدويو مصر محمد علي باشا (توفي ١٨٤٩م)، وسير سيد أحمد خان بالهند (توفي ١٨٩٨م)،^{٣٤} ومن لحق بهم بعد ذلك من زعماء الإصلاح في المشرق والمغرب.. "وتبع ذلك ما رافق حركات الاستقلال في كثير من البلاد الإسلامية، منذ أواسط القرن العشرين حتى اليوم، من الجهود العمرانية المدنية، والحركات القومية العلمانية، وما نجم عن تلك الأفكار والحركات والجهود من تغيرات فكرية وثقافية وعمرانية، إلا أنها في المحصلة لم تتمكن كلها -فيما هو ملموس- من أن تنجح في تشخيص الأمراض الحقيقية للأمة، ووصف العلاجات اللازمة لانتشالها من وهدة التخلف، ومساعدتها في مواجهة تحديات العصر الرهيبة المتنامية.^{٣٥}"

وتأسيسا على ما تقدم، فإن أول ما يلحظه الباحث في كثير من منطلقات النهضة ومشاريع الإصلاح المتأخرة في الأمة -بغض النظر عن الأسباب والدوافع- أنها انطلقت منذ البداية من التقليد والمحاكاة، إما باتجاه التاريخ، مع خطاب مشحون بالرموز العاطفية، أو باتجاه تقليد الأجنبي الغالب. ومن الواضح أن فكر التقليد والتلفيق والمحاكاة لم يُفَعِّل الطاقات، ولم يحرك الدوافع، ولن يستطيع. ويبقى الأداء المسلم قاصرا، والكيان المسلم ضعيفا عاجزا مهضوما مقهورا ما بقيت الأمة وتوجهات مشاريع نهضتها منطلقا من التقليد والمحاكاة، لأنهما لا يعيدان صفحات التاريخ، ولا يحركان كوامن الطاقة.^{٣٦}"

^{٣٤} أبو سليمان، انهمار الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٧.

^{٣٥} المرجع السابق، ص ٢٨.

^{٣٦} المرجع السابق، ص ٢٩-٣٠.

في هذا الموطن يستنكر الدكتور عبد الحميد جمود بعض مشاريع النهوض على التقليد، فهي تبدي وتعيد في قضايا لا صلة لها بالواقع، وفي خطاب لم يكن صالحا حتى لزمانه، وهذا يعني أننا ما نزال مستمرين في حالة الهزيمة. كما يستنكر أيضا تخبط الفكر المعاصر في أحوال التفاعل العشوائي، بسبب فقدانه البوصلة التي توجهه الوجهة الصحيحة، والدليل الذي يهديه السبيل. وفي هذا يقول: "أما الفكر الإسلامي المعاصر فيفتقد دليل الرؤية، ويتخبط في أحوال التفاعل العشوائي دون أساس منهجي في تفاعله مع الحضارة الغربية، على غرار التفاعل العشوائي غير المنهجي الذي حدث في العصر الأموي والعباسي بين منظومة الفكر والحضارة الإسلامية ومنظومة الفكر والحضارة الإغريقية التي كانت قد أفلست واستنفدت دورها. وذلك التفاعل وإن أفاد الحضارة الإسلامية في تعلم إرث الصناعات الغابرة وحصيلة علومها الفيزيائية، إلا أنه أضر بروح الحضارة الإسلامية في الجوانب الروحية والعقدية التوحيدية الاستخلافية والمنهجية السببية، وبطأ حركتها، وانتهى بها إلى غبش الرؤية الكونية الإسلامية، وسفسطة الإلهيات، والمنطق الصوري، وضياع المنهج الإسلامي العلمي التجريبي."^{٣٧}

إن هذا الانحراف عن رؤية الوحي التوحيدية الشمولية الكونية الحضارية - التي تشكل إطار فكر الأمة وثقافتها - أدى في النهاية إلى تعثر وتعوق مسيرة الإصلاح الفكري الذي نجم عنه تعطل وظيفة الفكر وأدائه وإسهامه في مشاريع النهوض الحضاري للأمة.. كما أدى أيضا إلى تشوهات في المفاهيم و"عقم منهجي خطير، جعل المعرفة عملية استظهار وتقليد ومحاكاة، يغيب فيها كل أثر فعال لعنصري الزمان والمكان، ومعرفة سنن الطبائع في الخلائق والكائنات."^{٣٨}

ويوجه الدكتور أبو سليمان مفكري الأمة وعلمائها إلى الاشتغال بالكليات السننية لا بالجزئيات والفرعيات التي تجعل جهودهم هباء منثورا، يقول: "إن على مفكري الأمة وعلمائها ألا يقعوا في حبال المنهجيات الجزئية الحرفية؛ حتى يمكنهم أداء واجبهم في استنقاذ الأمة، وأن ينطلقوا في إصلاح التشوهات من منطلقات كليات الشريعة ومقاصدها، مسلحين بالمعارف والمباحث العلمية التاريخية والاجتماعية والنفسية والترموية بأسلوب منهجي شمولي تحليلي منضبط يجلو لهم طبيعة الرؤية الإسلامية الصحيحة، وسبل تحقيقها في العالم المعاصر، كما يمكنهم من إدراك مواضع الأحداث والنصوص في عهد الرسالة وما تلاه من العصور، وإدراك بُعدي الزمان والمكان، وأثر ذلك في فهم دلالات ما صح من الأحداث والنصوص."^{٣٩}

إن النظر السنني حسب التفكير السليماني هو إِبصار للماضي، وتقوم للحاضر، واستشراف لمستقبل زاهر، ومن ثم فمن يمتلك الوعي السنني فإنه يمتلك البوصلة التي تجعله يسير في الاتجاه الصحيح، ويمتلك دليل الرؤية حتى لا تتيه في مسالك الحياة وسبلها، ومن يملك البوصلة فقد امتلك الحل والمفتاح لكل مشكلات الحياة.

وتأسيسا عليه، "فمهما كان حال الأمة اليوم، فإنه إذا ما قام مفكرو الأمة، ورجال الإصلاح والتربية والتعليم بدورهم في معرفة أدواء الأمة، وكيفية علاجها في ثقافتها وفي مناهج فكرها، وفي أساليب التربية الوالدية فيها، وفي

^{٣٧} المرجع السابق، ص ٣٢.

^{٣٨} المرجع السابق، ص ٥٢.

^{٣٩} المرجع السابق، ص ٨٢-٨٣.

مناهج تكوين كوادرها ومناهج تعليمها، وفي بناء مؤسساتها، وإذا ما تم إرشاد كل فئة إلى مصادر الخلل وطرق الإصلاح بدءًا بالأسرة والوالدين إلى المدرسة والمعلم، فإن استعادة الأمة لعافيتها ودورها الحضاري لن يكتنفه هذا الضباب، وتصور الصعاب، وستكون الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، هي كلية رؤية الأمة ومنهج حياتها، لا يحرفها عن رسالتها ودورها الحضاري الزلات والهفوات التي تمثل قوى رفضها ومواجهتها طاقة تجديد وتمكين، في حياة المجتمع، وتطوير طاقاته ومؤسساته.^{٤٠} ولن يتحقق هذا إلا بالرؤية القرآنية السننية الكلية.

ب. تنبيه الحركات الإصلاحية على الفكر السنني التربوي:

إن الدكتور عبد الحميد لم يقتصر فقط على التنبيه على الهدايات السننية التي توجه المسار الحضاري للأمة وتحفظه من الاعوجاج أو الخروج عن السكة، وإنما انتقد أيضا المناهج القاصرة الناقصة التي تتعامل مع الوحي القرآني برؤية تجزيئية تبعية تنافرية، تحجب عن الإنسانية رؤية آفاقه الرحب وشمسه الساطعة، وتؤدي به إلى تصورات وهمية، ونتائج اعتسافية لا صلة لها بواقع الناس.

ولذلك نجد على الجهود الإصلاحية في العالمين العربي والإسلامي بقوله: "وعلى الرغم من أن جل هذه الجهود والحركات الإصلاحية والتغييرية التي تنوعت وغطت كل الاتجاهات الإسلامية والمدنية في الجوانب العقديّة والسياسية والاجتماعية والاقتصادية كانت صحيحة المنطلقات، وسليمة الغايات، إلا أن من الواضح أن هؤلاء المصلحين والقادة المفكرين - برغم كل البذل والعطاء وما حققوه من إصلاحات نفع - جلّها - الأمة، إلا أنه من الواضح أنهم لم يضعوا أيديهم على أس الداء ومنبع البلاء، ولم يتمكنوا من تحقيق مقاصدهم في أن يحركوا بشكل فعال كوامن طاقة الأمة، وأن يصلحوا بناءها الفكري أو النفسي، وأن يسدوا ما بينها وبين الأمم المتقدمة من فجوة الأداء والقدرة والحضارة.

أما هذه الحال التي كانت عليها الأمة، فليس للباحث والمفكر بدّ من أن يستمر في البحث والتنقيب، حتى يهتدي إلى سبب العلة أو أسبابها الهامة الكبرى المؤثرة، ويأخذ بأسباب علاجها، حتى يصح جسد الأمة ويتميز أداؤها، وتتصدى بنجاح لما تواجهه من تحديات، وحتى تستطيع في نهاية المطاف أن تقدم للإنسانية عطاءها، وتسترد عافيتها وحقوقها وكرامتها، وتسهم في بناء حضارتها.^{٤١}

إن الحركات الإصلاحية رغم جهودها الكبيرة في البناء والتغيير الاجتماعي، لكن قصرت في سنة إلهية مهمة جدا، وهي سنة التربية وصناعة الأجيال منذ الطفولة، هذه السنة الإلهية هي منطلق أساس إلى تحقيق سنة الإصلاح والتغيير الاجتماعي، ولذلك يعلق الدكتور أبو سليمان على الحركات الإصلاحية وزعماء الإصلاح بعد استعراضه لجهودهم وأهم تلك الحركات، يقول: "إنه لم يبق الكثير مما لم يتطرق إليه الفكر الإصلاحي والحركات الإصلاحية الإسلامية بشكل جاد حتى الآن، إلا أن أهم الأبعاد والأسباب التي يجب الالتفات إليها هو قضية الطفل بصفتها وسيلة أساسية لأحداث الإصلاح والتغيير المطلوب؛ وذلك لما للطفل من قدرة على تلبس الأحوال التي توفر شروط الإصلاح والتغيير

^{٤٠} أبو سليمان، الرؤية الكونية القرآنية الحضارية، مرجع سابق، ص ١١٢.

^{٤١} أبو سليمان، أزمة الإرادة والوجدان المسلم، مرجع سابق، ص ١٢٣.

الذي تنادي به وتهدف إليه حركات الإصلاح، وتؤدي إلى إعادة تأهيل الفرد المسلم، والمجتمع المسلم، وتمكن من امتلاك القدرة على مواجهة التحديات.

لو أن الفكر المسلم انصرف إلى الطفل وتربيته وبنائه النفسي والمعرفي ليكون أساسا لإحداث التغييرات الهامة وامتلاك الطاقات النفسية والقدرات المعرفية، ولو أن الفكر المسلم أمعن النظر في عمليات التغيير والنمو والتطور الملموس جسديا ونفسيا لدى الطفل؛ لانصرف هذا الفكر إلى إدراك بُعد التغيير في النفس الإنسانية، وفهم أحواله ومتطلباته، ولكن ذلك أفضل مدخل ودافع إلى الإصلاح المنهجي للمعرفة الإسلامية، وتنقية الثقافة الإسلامية، وبناء العلوم الإنسانية الاجتماعية والتربوية؛ بهدف الحصول على القدرة العلمية التربوية، وتحقيق التغيير الاجتماعي، وإعادة بناء الشخصية المسلمة بأبعادها الفرد والجماعية؛ بما يمكنها من الحصول على القدرات النفسية والوجدانية والمعرفية اللازمة لإتقان الأداء ومواجهة التحديات.^{٤٢}

إضافة إلى ما تقدم يؤكد الدكتور أبو سليمان مأخذه على الحركات الإصلاحية التي قصرت في سنة التربية والعناية ببناء الطفولة، ويلفت الأنظار إلى أهمية تربية الأطفال في صناعة الإصلاح الاجتماعي، يقول: "لقد أنجبت الأمة عدداً كبيراً من المفكرين وقادة الإصلاح الذين كتبوا وجاهدوا ولفتوا الأنظار إلى كثير من العيوب التي تعاني منها الأمة، وإلى كثير من الصفات التي يجب التخلص منها، ومع ذلك لم توفق الأمة حتى اليوم إلى إحداث التغيير المطلوب، والتخلص من العيوب والأدواء التي ما زلنا نعاني منها، والظن أن هذه العقول النيرة لم تنتبه بما يكفي إلى البعد التربوي للطفولة الذي هو أساس التغيير، وبقي الطفل والبعد التربوية - إلى حدٍ بعيد - هامشياً في فكر الأمة وسياساتها، ونشاطها الفكري والاجتماعي."^{٤٣}

وتأسيساً عليه؛ "فبانحطاط الفكر التربوي - بصفته جزءاً من انحطاط الفكر السنني الاجتماعي الإنساني - تشوّهت دون قصد الرؤية الاجتماعية الكلية، وتمكنت السلبيات والمفاسد الاجتماعية؛ بسبب تفاقم داء الاستبداد والقهر في السياسة والفكر والتربية، لأنه لا شورى ولا عدل ولا قدرة دون ثقافة وفكر، كما أنه لا تنمية ولا تطور دون تربية وتعليم."^{٤٤}

لقد ركز الدكتور أبو سليمان على صناعة الطفولة، وهذا أمر مهم جداً، لكن لا بد أن يكون بموازاته صناعة الشباب والفتوة؛ ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرب أطفالاً فقط، فقد ربى الشباب أيضاً، وأغلبية الصحابة رضي الله عنهم كانوا من الشباب، وجيل الرعيل من الدعوة والتزكية والبناء كانوا من الشباب.. لذلك فقد أصاب الدكتور أبو سليمان في ربطه النهوض والإصلاح بالتربية، لكن ليس تربية الأطفال وصناعتهم فقط، فهي ضرورية جداً باعتبارها المنطلق والأساس الأول في النهضة والتغيير، لكن تربية حتى شباب الأمة ورجال ونسائها.. يعني نحتاج إلى القدوة، وإلى مصلحين قادرين على إخراج الشباب من وهدة الضياع، وفقدان الهوية، والسير في الحياة بلا هدف ولا

^{٤٢} المرجع السابق، ص ١٢٣-١٢٤.

^{٤٣} المرجع السابق، ص ٢٠٤.

^{٤٤} المرجع السابق، ص ٢٠٤.

غاية، إلى مراقبي الفلاح وصناعة مجد الأمة، وقادرين أيضا أن يعتق رقاب الشباب التي تعلق بالآخر ونفائياته في الهوية والفكر..

ذلك بأن الشباب هم الجيل الذي تولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتربية والتهديب، وتولاه الوحي الإلهي بالتوجيه والترشيد، لأنهم عماد الأمة وسرّ نهضتها، وقوام وجودها، وأساس نهضتها، وبناء عمراتها، ومرآة واقعها، وبوصلة مستقبلها.. فمرحلة الشباب من أهم مراحل حياة الانسان، وهي المرحلة الأخطر والأدق، باعتبارها بداية التكليف الشرعي، ونشوة العمر وجدته، ولهذا اهتم المصلحون بالشباب، لرعاية شؤونهم، وتوجيه سلوكهم، وتقويم انحرافهم، وبناء أخلاقهم، ليعيشوا حياة سعيدة مستقرّة، ويكونوا سعداء صالحين.. وإذا أردت أن تعرف مستقبل أي أمة فانظر إلى حال شبابها.

كل هذا لا ينفي أهمية العناية بالطفولة وصناعتها على سنن الوحي وقيمه، فمستقبل الأمة رهين بصناعة الطفولة وصناعة الشباب معاً..

ت. دعوة المشتغلين بالعلوم الإنسانية والإسلامية إلى مراعاة حقائق الوحي وهداياته وسننه:

إن من معالم الإصلاح الفكري في التصور السليماني دعوته المشتغلين بالفكر الإنساني والإسلامي إلى استحضار حقائق الوحي وسننه وهداياته في عملية التفكير وبناء صرح المنهجية الإسلامية للمعرفة وتشكيل العقل الإسلامي، والاستفادة من التجارب الإنسانية - في مجال علوم الحياة والأحياء - التي توافق السنن الفطرية الكونية، وفي هذا يقول: "إن المنطلق الأساسي للمنهجية الإسلامية للمعرفة يقوم من جانب علماء الإنسانيات المسلمين بالتوبة إلى رشدهم ومعرفة موضع الوحي وهداياته الكلية مصدراً للمعرفة والتوجيه في مجال دراساتهم، كما أن على علماء دراسات الوحي الإسلامي معرفة موقع العقل والفطرة منها وما أودع الله في العقل والفطرة من السنن والنواميس التي هي أساسية لفهم معاني الوحي ودلالاته ووضعه في موضعه الصحيح في حياة الإنسان، وبالتالي فعلى هؤلاء العلماء استخدام وسائل البحث العلمي المنهجي التحليلي والتجريبي الذي طوره علماء الإنسانيات والتقنيات الذي يتسم بالانضباط والتحليل والدقة الواقعية في مجال دراسات الوحي وفهم مقاصدها ومعانيها وعلاقتها بالفطرة والواقع بالشكل والقدر الملائمين لذلك المجال من مجالات المعرفة، وبذلك تتكامل مصادر المعرفة الإسلامية في الوحي والعقل والفطرة والكون وذلك هو السبيل العلمي لبناء منهجية علمية إسلامية وقيام معرفة وعلوم إسلامية متميزة."^{٤٥}

وقد استنكر أبو سليمان على المفكرين المسلمين قعودهم عن دراسة الفكر الخلدوني السنني الاجتماعي، أي دعاهم إلى الوعي بسنن العمران والاجتماع البشري، يقول - رحمه الله -: " ولم يكن كتاب ابن خلدون من قراءات العلماء، ولم تكن مواضيعه من اهتماماتهم، وبقي مشروع البحث في آيات العلم والمعرفة السننية الحية مشروعاً معطلاً لم يكتب له - مع جذب الحياة العلمية المدرسية النظرية النصية - النهوض، حتى صحت الأمة على كنوز المعرفة الاجتماعية التي شهدتها الغرب - على أساس منطلقات ابن خلدون ومنهجه السنني في مجالات العلوم الاجتماعية في التاريخ وفلسفة التاريخ والاجتماع والاقتصاد والتربية - والتي فتحت للغرب أبواباً وآفاقاً واسعة مكنت لأئمة من أن

^{٤٥} أبو سليمان، أزمة الإرادة والوجدان المسلم، مرجع سابق، ص ١٧٨.

تتوزد ناشئتها بروح المبادرة والقدرة الإبداعية، وإقامة التنظيمات الاجتماعية، ومواكبة المتغيرات، ومواجهة التحديات.^{٤٦}

ث. تغييب الوعي السنني عن ساحة الفكر الإسلامي وأثره في تدهور حال الأمة وقصور أدائها:

إن سبب تدهور حال الأمة وتوقفها عن أداء وظيفتها الحضارية يرجع حسب التفكير السليماني إلى أمرين أساسين:

فالأمر الأول هو: "الخلل الذي أصاب منهج الفكر الإسلامي؛ إذ تم تغييب البعد المعرفي الشمولي التحليلي الذي يتعلق بمعرفة السنن الإلهية في الطبائع النفسية والكونية، وفي تفاعل عواملها المركبة رأسياً وأفقياً في الزمان والمكان. وهذه السنن الإلهية (القوانين الطبيعية)^{٤٧} هي التي يشير إليها قوله النبي صلى الله عليه وسلم: «فَخَيَّرْتُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خَيْرًا لَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَفَّهُوا».^{٤٨} بمعنى أن للتربية والتنشئة أساساً نفسية وهي سنن وقوانين إلهية، وأن طرق التعامل معها تحدد نوعية البناء النفسي للفرد، وتشكل معدنه وطاقاته، كالشجاعة والجنون والأمانة والخيانة.. وما إلى ذلك. وهذه الطاقات يتم تسخيرها اجتماعياً - في اتجاه أو آخر - بحسب الرؤية الكونية والاجتماعية لكل أمة ومجتمع.^{٤٩}

أما الأمر الثاني فهو: غياب التفكير السنني في الخطاب النفسي العلمي التربوي، هذا الغياب الذي جعل الطفل المسلم ينمو "إنساناً مفتقداً لدفع البعد الوجداني الفعّال واللازم لتحريك الطاقة، وبذل الجهد، وتوفير الأداء الإيجابي الذي يعد شرطاً ضرورياً لامتلاك القدرة على مواجهة التحديات التي تواجه الأمة بنجاح وفاعلية. ... هذا الغياب هو الذي يفسر عدم قدرة الإنسان المسلم والأمة المسلمة - حتى اليوم - على الاستجابة لمطالبات مشروع الإصلاح الحضاري الإسلامي، وتصحيح الانحرافات، وضم الصفوف وإتقان الأداء، على الرغم من سلامة غايات هذا المشروع ونبله، وتوافر الوعي المعرفي بأهدافه ومتطلباته لدى البالغين من أبناء الأمة. هذا الخلل الذي أصاب الخطاب التربوي، ناتج أيضاً عن التشوه المنهجي للفكر الإسلامي الذي أسفر عنه عزوف رجال مدرسة الإصلاح، وقادة الفكر في الأمة عن خوض معترك الحياة العامة، واقتحام المجالات السياسية والاجتماعية ودراساتها وفحصها، والكشف عما يعترضها من عاهات، وبيان سبل السلام لنيل الأوطار وبلوغ المرام.. كل هذا أدى إلى "ضمور دور المصدر الثاني للمعرفة الإسلامية، وهو المعرفة الإنسانية في إدراك السنن والطبائع الكونية والإنسانية، والوقائع الزمانية والمكانية، وتسخيرها بشكل عملي فعال في إدارة سياسة الأمة، وتدبير شؤونها، من أجل تحقيق أهداف الهداية الربانية الكلية للإنسان على هدي وعلم وبصيرة.

^{٤٦} أبو سليمان، انخيار الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٥٤.

^{٤٧} لعل الدكتور أبو سليمان لا يقصد بالقوانين الطبيعية هنا القوانين المادية التي تنظم الطبيعة فقط، وإنما يقصد بها القوانين المادية والمعنوية للطبيعة وما فيها من مخلوقات: (طبيعة الكون المادي، طبيعة النفس البشرية، طبيعة المجتمعات الإنسانية..). لأن السنن الإلهية تشمل: قوانين الطبيعة، وقوانين الاجتماع البشري، وقوانين النفس الإنسانية).

^{٤٨} البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي. صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، مصر: الطبعة السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية، ١٣١١هـ، باب «أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمُوْثُ إِذْ قَالَ لِتَبْنِيهِ» [البقرة: ١٣٣] الآية، ج ٤، حديث رقم ٣١٩٤، ص ١٤٧.

^{٤٩} أبو سليمان، انخيار الحضارة الإسلامية وإعادة بنائها، مرجع سابق، ص ١٧-١٨.

وغياب مصدر المعرفة الإنسانية في السنن والطبائع أدى في النهاية إلى شيوع عقلية المتابعة الآبائية، ومن ثم العجز عن إدراك طبيعة المتغيرات، وافتقاد القدرة على التعامل معها في تركيب النفس البشرية وتنميتها وإعدادها في مختلف مراحل الطفولة.^{٥٠}

هكذا يرصد الدكتور أبو سليمان جوانب القصور في الفكر الإسلامي المعاصر، ونتائج ذلك القصور على مسيرة الأمة وسيرها نحو النهوض والإصلاح.

حتى حيث وصل الأمر -في كثير من الأحيان- إلى مرحلة العبث الذي شوه صورة الفكر الإسلامي بين إفراط المتشددين والغالين وبين تفريط ضحايا الغزو الثقافي والاستلاب الحضاري، وبين قصور المقلدين الجامدين، وغياب المفكرين العدول الذين نيط بهم ردّ الأمور إلى نصابها وتقويمها بسنن الوحي السماوي.

وجملة القول: "إن تحقيق أمر الشهادة على العالمين، والتصدر لقيادة أمم الأرض مشروط بمدى إحكام المسألة السننية: فهماً وصياغةً وتسخييراً وتنزيلاً؛ عبر السير في الأرض، وتبصر أحوال الأمم وتتبع أخبارهم الماضية، والإحاطة بالعلل التي لحقت بهم؛"^{٥١} فمزقت حضارتهم، وجعلتهم أثراً بعد عين.

ومن ثم فإن المنظومة السننية تتبوأ مكانة بارزة في الفكر السليماني، وذلك لأهميتها في تسديد وجهة الأمة نحو غاياتها وأهدافها، وحفظ سيرها نحو الإصلاح والبناء، ولأهميتها أيضاً في صيانة الفكر الإسلامي والمنهجية الإسلامية من أي خلل قد يصيبه أو يعترضه، ومن ثم فهي ضرورة للفكر والممارسة..

هذا وقد تضمن التراث الفكري السليماني الكثير من الجوانب الإصلاحية لمسيرة الفكر الإسلامي، إخراجاً له من التقليد والقعود، وحثاً له على التجديد والاجتهاد والنهوض.

ذلك بأن الإصلاح الفكري الذي يدعو إليه الفكر السليماني ينطلق من السنن الإلهية التي أسس لها القرآن الكريم على شكل منظومة كلية متكاملة تشمل سائر جوانب الحياة الإنسانية.. تلك المنظومة التي تتسم بخاصية فريدة تميزها عن كافة النظريات الوضعية وهي أن مصدرها الأساس ومنطلقها الأول هو الوحي الإلهي الذي يقدم لنا رؤية حقيقية كلية عن حقيقة الإنسان وطبيعته والهدف من خلقه، كما يقدم تصوراً واضحاً عن سبل تحقيق حياة اجتماعية آمنة ومطمئنة لهذا الإنسان المكرم المستخلف في الأرض، مما يؤكد قوة هذه المنظومة القيمية وثبات منطلقها، وفائدتها العظمى للإنسان في الدنيا والآخرة معاً..

خاتمة البحث:

بناء على ما تقدم أصل إلى الخلاصات الآتية:

كشف الباحث في بحثه عن مفهوم الوعي السنني وأنه إدراك حقيقي للنواميس التي تنظم شؤون الحياة والأحياء، وتدبر كل شيء في هذا الوجود، وأبرز أهميتها الاجتماعية والحضارية، لكونها بوصلة توجه المجتمع نحو الرقي والازدهار، وتمنعه من السقوط والانحيار.. والحجر الأساس في إصلاح أحوال الإنسان في المعاش والمعاد، والمبتدأ والمآل.

^{٥٠} المرجع السابق، ص ١٨-١٩..
^{٥١} البطوي، عزيز. سنن العمران البشري في السيرة النبوية، أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، ص ١٩٦.

كما بيّن البحث أسس الفكر السنني السليماني، وأجملها في أربعة أسس وهي: الوحي منطلقاً ومنهجاً، والتوحيد مبتغى وغاية، والبعد السنني الهدائي لنصوص الوحي استحضاراً ومراعاة، والربط بين الفكر والفعل، والوعي والسعي هدفاً.

وكشف البحث أيضاً عن أثر الوعي السنني السليماني وإسهامه في بناء العقل المسلم والمنهجية المعرفية الإسلامية من خلال بيانه للآفات والتشوّهات التي لحقت بالعقل المسلم، وكيفية العودة به ليؤدي وظيفته الرسالية والفكرية والمعرفية والتسخيرية كما أداها أول مرة.

كما خلص البحث أيضاً إلى إبراز الرؤية الإسلامية الكونية الإيمارية الحضارية في الفكر السليماني، وآثارها الإيجابية الفعالة في إصلاح المجتمع وتوجيه مشاريع النهوض نحو أهداف محققة وأبعاد شريفة.

توقف البحث أيضاً عند ما يميز به الوعي السنني السليماني من عطاء وثناء، لا من حيث أصوله القرآنية، ولا من حيث ربطه العلم بالعمل، والتوكل باتخاذ الأسباب، ولا من حيث محورية مبدأ السببية في فكره وتصوره..

كما استعرض البحث الرؤية النقدية السليمانية للمفكرين الإصلاحيين في تعاملهم مع السنن الإلهية، وتقصيرهم في مراعاتها في مشاريعهم الإصلاحية النهضوية، وعدم عنايتهم بصناعة الطفولة باعتبارها المدخل الرئيس إلى صناعة التغيير.

وختم البحث في الأخير ببيان أسباب تدهور حال الأمة وتوقفها عن أداء وظيفتها الاجتماعية والحضارية، وحصرتها الفكر السليماني في سببين:

أولها: تغييب البعد المعرفي الشمولي التحليلي الذي يتعلق بمعرفة السنن الإلهية.

وثانيها: غياب التفكير السنني في الخطاب النفسي العلمي التربوي.

وتأسيساً على هذه الخلاصات أصل إلى النتائج الآتية:

- إن الوعي السنني - كما جلى صورته الدكتور أبو سليمان - هو كفيل بتجديد وعي الأمة بوظيفتها الاجتماعية والحضارية والاستخلافية، والتمكين لحركة التغيير والبناء والإصلاح الحضاري، والدفع بالأمة نحو تطوير أدائها الرسالي وكفاءتها الإنجازية الحضارية، بعيداً عن الظلم والفساد والطغيان، من أجل استدامة حركة الاستخلاف في الوجود وإقامة الشهادة على الناس علماً وتبليغاً وعدلاً.

- إن الرؤية النسقية الكلية للفكر السليماني هي تحذير من الوقوع في خندق التقليد والنظر النصف التجزئي التبعضي التبريري والإعجاب بالآخر، ودعوة إلى تجاوز الفهوم الضيقة لنصوص الوحي قرآناً وسنة؛ وضمان الاستثمار الأمثل والأشمل لها في حياة الأمة.

- إن الوعي السنني لدى الدكتور عبد الحميد يعد اليوم سفراً مفتوحاً أمام الباحثين والدارسين لدراسته والغوص في عمقه لاكتشاف درره وألماسه.

ذلك بأن استحضار اتجاهه السنني الكوني الفطري الأخلاقي الحضاري في واقعنا اليوم قمين بإعادة بعث هذا الفكر الرائد والرؤية المتميزة وتفعيله على أرض الواقع، والذي سيسهم لا محالة في بناء العقل المسلم والمنهجية المعرفية الإسلامية، وتقديم معارف وقيم ونماذج وحلول جديدة لمشكلاتنا المعاصرة.

وفي الختام يوصي الباحث الباحثين بالانكباب على الفكر السليماني واستنطاقه للوقوف نظره السنني العميق في قضايا اجتماعية وحضارية وسياسية وتربوية مهمة تنهض بالعقل والفكر الإسلامي وتسهم في صياغة المنهجية المعرفية الإسلامية من جديد.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ثبت المراجع:

١. أبو سليمان، عبد الحميد. أزمة الإرادة والوجدان المسلم، دمشق: دار الفكر، ط ٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٢. أبو سليمان، عبد الحميد. الرؤية الكونية الحضارية القرآنية: المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني، القاهرة: دار السلام، ط ١، ٢٠٠٩م.
٣. أبو سليمان، عبد الحميد. انهيار الحضارة الإسلامية وإعادة بنائها، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م..
٤. أبو سليمان، عبد الحميد. أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، د.ت.
٥. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (المتوفى ٢٥٦هـ). صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٦. البطيوي، عزيز. سنن عمران البشري في السيرة النبوية، أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.
٧. حسنة، عمر عبيد. المنهج السنني أفق حضاري متجدد، بيروت-عمان: المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
٨. طنطاوي، جوهري. أحلام في السياسة وكيف يتحقق السلام، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.
٩. عبده، محمد. "الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية"، مجلة المنار، المجلد الخامس (١٦ جمادى الآخرة - ١٣٢٠هـ).
١٠. المراغي، أحمد. تفسير المراغي، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.